اللّغة العربيّة اليوم بين العاميّات واللّغات الأجنبيّة، واقع وتحدّي.

أ. **جميلة راجا** – جامعة تيزي وزو – الجزائر

كانت اللّغة العربيّة في ماضي أمّتنا لغة رقيّ وحضارة عظيمة، تخطّت حدود رقعة البلاد العربيّة الإسلاميّة إلى أوربا غربًا وأقاصي الصّين والهند شرقًا، ممّا دفعها إلى الاحتكاك بلغات شعوب الأمم الّتي اعتنقت الإسلام والتّأثير عليها؛ لكونها اللّغة الّتي نزل بها القرآن الكريم؛ فقد اختارها **الله** عزّ وجلّ لتكون آخر كتبه لغة هذا القرآن ﴿ **إنّا جعلناه قرآنًا عربيًّا لعلّكم تعقلون** ﴾ **(سورة الزّخرف الآية 3)**، فهي الوعاء الّذي حمل رسالة الإسلام بكلّ ما ضمنته من عبادات ومعتقدات وأخلاقيّات إلى العالم أسره. وهذا الاختيار من **الله** عزّ وجلّ للّغة العربيّة لم يكنْ من باب الصّدفة؛ إنّما يعود إلى ما تمتاز به من مرونة واتّساع، وقدرة على الاشتقاق والنّحت والتّصريف وثراء في المفردات والصّيغ والتّراكيب وغير ذلك؛ فهذه الخصائص المميّزة هي الّتي رشّحتها لأنْ تكون لغة القرآن الكريم؛ فشرّفت بهذا الاختيّار، وازدادت سموًّا ورفعةً؛ ممّا جعلها لغةً عالميّةً حظيت بعناية خاصّة.

واللّغة العربيّة لم تكنْ وسيلة للتّفاهم والتّواصل فحسب؛ بل كانت إلى جانب ذلك المعبّر الصّادق عن قيم الأمّة العربيّة وحضارتها، والحافظ على تراثها وكيانها، ممّا جعلها تسمو إلى أعلى المراتب وتخرج من محلّيتها الضيّقة إلى عالميّة واسعة، وبذلك لم تكن تُعاني الإهمال والقصور من أبنائها ومن غير أبنائها ممّن دخلوا الإسلام وأرادوا فهم تعاليمه. وبقيت العربيّة الفُصحى تعيش على هذه الحال لعهد طويل إلى أنْ وجدت نفسها اليوم أمام تحديّات وعوامل جديدة؛ تُحاول طمسها والنّيل منها أو بالأحرى محو أيّ أثر لها في حياة النّاطقين بها وغيرهم ممّن ينضوون تحت إمرة الإسلام، وبذلك أصبحت لغة غريبة في أوطانها ومُضطهدة في ديارها، حين أخذ لها أهلها بديلاً وهو العاميّات واللّغات الأجنبيّة كالفرنسيّة والإنجليزيّة. ويكفي لهذا السّبب ولأسباب كثيرة لا تُحصى ولا تُعد لأنْ نتأسّف ونتحسّر على الوضع الّذي آلت إليه لغة ديننا ونقول وقتها قبل فوات الأوان لمحبّيها ومُخلصيها هلمّ إلى العمل وبذل الجهد من أجل حمايتها والنّهوض بها وإبقائها صامدة – إنْ صح القول –حتّى تنتصر في المعركة اللّغويّة، وتُواجه تيّار العولمة. فكلّ هذا دفعنا إلى طرح الإشكاليّات الآتيّة:

ما الموقع الّذي تحتلّه اللّغة العربيّة الفُصحى اليوم مقارنة بموقع اللّغات الأجنبيّة العالميّة؟ وبموقع العاميّات أيضًا؟ وما هو راهن العربيّة الفصحى في أوطانها؟ وهل يجدر بالعربيّة الفُصحى لأنْ تكون كغيرها من اللّغات العالميّة لغةً قادرةً على مواجهة كلّ ما يشهده عالم اليوم من تطوّرات تكنولوجيّة وعولمة فكريّة وثقافيّة؟ وما مصير العربيّة الفُصحى في ظلّ التّرجمة الآليّة المعتمدة بنسبة عاليّة جدًّا في مختلف اللّغات الأجنبيّة؟ وما المطلوب من المؤسّسات والمجامع اللّغويّة والعلميّة ومن المجلس الأعلى للّغة العربيّة في حدّ ذاته عمله من أجل النهوض بهذه اللّغة وحمايتها من المصطلح الدّخيل والعامي؟

1) – واقع اللّغة العربيّة والعاميّات:

إنّ اللّغة العربيّة الفُصحى كما هو واقعها لغة نموذج؛ يتميّز بين اللّغات القديمة ذات الرّسالات الدّينيّة والحضاريّة كالعبريّة أو السّريانيّة، وهي لغة متميّزة أيضًا عن اللّغات الحديثة الّتي تعيش على أمل الانتشار الواسع في المستقبل وهي لغة الوحدة والانتماء الواضح الّذي تنشده كلّ أمّة تفتخر وتعتزّ بلغتها وكيانها. والعربيّة الفُصحى اليوم تُواجه صراعًا حادًّا بسبب اللّهجات العاميّة الّتي بدأ نطاق استعمالها يتوسّع بشكل مثير للخوف ويحدث هذا بشكل خاصّ في المؤسّسات التّعليميّة والإعلاميّة والثّقافيّة؛ فقد لاحظنا في الآونة الأخيرة أنّ اللّهجات تتبوّأ منزلةً خاصّة لدى مستعمليها، وأخذت حيّزًا واسعًا من حياتهم، حيث يعتبرونها أداة لغويّة ضروريّة تقضي لهم حاجياتهم اللّغويّة والتواصليّة في مختلف المواقف الخطابيّة وغيرها. ونتيجة لذلك أصبحت العاميّة العدوّ اللّدود للفُصحى، إذْ إنّ حالها حال الشّجرة الوارفة الّتي تنتشر أغصانها هنا وهناك، وتتهدّل حولها وتتّسع بجوارها، وإذا لم تُقطع هذه الأغصان تحوّلت إلى أحراش ونباتات ضعيفة، تعيش في كنف الشّجرة الأمّ؛ حيث تمصّ من الماء الّذي ينساق في أصلها وتحرمها الظلّ والشّمس؛ فيضعف قوامها كلّما قويت الأعشاب المحيطة بها، وامتدّت فروعها بعيدًا عن أصلها، وأخذت مسارًا آخر يختلف عن مسار الشّجرة الأصل. فهذه المقارنة نجدها أقرب تمثيل للعربيّة الفُصحى وأصدق؛ لأنّ العاميّات نشأت بجانب لغتها الأمّ الفُصحى ونمت في كنفها[1]، وبعدها أخذت بالانحراف عنها والإحاطة بها والانتشار حولها والتغلّب عليها بسهولة. فالواقع يُبيّن مدى توسّع استعمال العاميّات في الدّول العربيّة، ولهذا فإنّ المتأملّ في حال العربيّة الفُصحى يشعر بالألم العميق والحسرة الشديدة، لأنّها ليست عند أبنائها بالمكان المناسب، ولا بالموضع اللائق لها، ولم تعدْ تحظى بذلك

[1] – مرزوق بن صنيتان بن تنباك، **اللّغة العربيّة في القرن الحادي والعشرين في المؤسّسات التّعليميّة الواقع والتحديّات واستشراف المستقبل، http// :www.faculty.ksu.edu.sa.**

الاحترام الّذي حظيت به في الوقت الّذي يخشى فيه المتكلّم من أنْ يقع في اللّحن خوفًا من التهكّم عليه واعتباره عبرة الخطأ الشّائع؛ كونه لا يُتقن لغة قومه ولا يُمثّلها أحسن تمثيل، فالعربيّ الأصيل والفذّ هو الّذي يتميّز بفصاحة اللّسان وسلامته. وإنْ كان سلفنا الصّالح قد أولى للغته الرّعاية والاحترام إلى درجة الاستخفاف بمن يُخطئ في حقّها؛ إذْ يقولون في هذا الأمر « ليس للاحن حرمة أو اللّحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه»[1]، وهذا سيبويه الّذي أخطأ في كلمة فعوتب في ذلك، فقال لا جرم، سأطلب علمًا لا تلحنني فيه فلزم الخليل ليأخذ عنه فبرع[2]، فإنّ أبناء العربيّة اليوم ينعتونها بالكلاسيكيّة؛ فهم يُوجّهون لها العقوق والتّنكّر والتّجاهل وعدم المبالاة، لأنّها في نظرهم ليست باللّغة الّتي يفتخر بها المتكلّم في خطابه أو المتحدّث في الشّارع أو المستوجَب في الإذاعة أو التّلفاز وغير ذلك، وهذا ما جعل الفُصحى تتعرّض لمختلف أنواع الهجر والتّشويه من أبنائها والتّشكيك فيها؛ ومع أنّها اللّغة الّتي حافظت على أواصر الوحدة العربيّة منذ آلاف السّنين، وراحوا يفتخرون بالعاميّات ويُطالبون بضرورة تعميم استعمالها في مُختلف الميادين؛ قائلين إنّها الأسهل والأكثر حيويّة لأنّها، جاءت كخليط من العربيّة واللّغات الأجنبيّة. وتقوم دعوة هؤلاء إلى استبدال اللّغة الفصحى بالعاميّة على أساس أنّها لغة الوضع والاستعمال[3]، فهي في نظرهم الوسيلة المعبّرة عمّا هو مستعمل ومناسب في الوقت الحاضر.

والحقّ إنّ هذا الهجر واللامبالاة للفُصحى يعود لأسباب كثيرة، فلعلّ الأمر الأوّل والهامّ الّذي يستوقفنا عند تعرّضنا لهذه النّقطة، وأثار غيظنا على الحال الّذي تؤول إليه العربيّة الفُصحى هو ذلك القول المسموع عن الحاقدين عليها إنّها لغة ميّتة لا تتماشى مع روح العصر فتراهم يزعمون أنّ العاميّة هي الحلّ لضعفهم وعدم قدرتهم على أداء لغتهم بكيفيّة سليمة وصحيحة؛ فإذا تبادلت معهم الحديث تجدهم يأخذون من هنا وهناك دون إدراك أو وعي منهم أنّ الكلمات الّتي وظّفوها بعضها منبثق في الأصل من الفُصحى والبعض الآخر مأخوذ من اللّغة الفرنسيّة أو غيرها. ومن هنا تصبح الفُصحى لغة مهجورة وغريبة عن أهلها ويقلّ الاهتمام بها، لأنّ رفضها يدفع بالكثيرين إلى الاحتفاء بالآداب الشّعبيّة والأشعار العاميّة، ممّا يدفع بوسائل الإعلام إلى خدمة هذا النّوع من الأدب ونشره، وتسعى جاهدة

---

[1] – صالح بلعيد، **في قضايا فقه اللّغة العربيّة**، د– ط. الجزائر: 1995م، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ص 28.

[2] – سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، **الكتاب**، تح: عبد السّلام هارون، ط2. القاهرة: 1977م الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ج1، ص7.

[3] – صالح بلعيد، **اللّغة العربيّة العلميّة**، د – ط. الجزائر: 2002م، دار هومه، ص13.

لنشره والتّشجيع عليه[1]، وفي هذا التّشجيع لكتابة هذا النّوع من الشّعر صرف للنّاشئة عن كتابة الشّعر العربيّ الأصيل.

وبخصوص ذكرنا لوسائل الإعلام ثمّة نقطة هامّة لا يجب أنْ نتغافل عنها وهي أنّه إنْ كان لهذه الوسائل دور كبير في نشر اللّغة العربيّة وترقيّتها؛ حيث لا ننسى تلك الجهود الّتي يبذلها العديد من الصّحافيّين يوميًّا من أجل خدمة هذه اللّغة وإثرائها، وذلك بإخراج الكلمات الحضارية الجديدة من مخازن المجامع ورفوفها إلى الأماكن العامّة والشّوارع والمقاهي؛ من خلال ما يكتبونه للمُستمعين والقرّاء من أخبار وأحداث، وما يُسجلونه من وقائع عن الحياة العصريّة[2]، فإنّها في المقابل تُشجّع على استعمال العاميّة، وذلك بالعمل على تقديم البرامج باللّهجة العاميّة، إذْ ترى الصّحافيّ أو المنشّط للبرنامج يُكلّم ضيفه بالعاميّة دون مراعاة للحديث بالعربيّة الفُصحى الّتي يجب أنْ يسهر هو أيضًا على ترقيّتها ونشرها بكيفيّة سليمة؛ ممّا يُعين المستمع على تعلّم لغته وفهمها، والتعوّد على سماعها، فالصّحافيّ تجده مهتمًّا أكثر بنشر المعلومات والأخبار وليس بنشر اللّغة، ولذلك لا ينظر في أهميّة استعمال العربيّة الفُصحى عند مُخاطبة الجمهور وإيصاله الخبر اليقين، وهو بذلك يفتح مجالاً واسعًا للعاميّة، وتكون هي من يستغلّ السّلاح الرّابع أفضل استغلال[3]. وعلى هذا تكون الوسائل الإعلاميّة قد تحمّلت قسطًا كبيرًا في تدهور وضع العربيّة الفُصحى، فهي بصفة عامّة « لم تعمل على التطوّر اللّغويّ المفيد لما لها من تأثير على الجمهور، فراحت تدعو أو تُوظّف العاميّات بلا حشمة، وفتحت المجال أمام الحصص الثّقافيّة المذاعة بالعاميّة، والحديث بالدّارج في الأخبار واللّقاءات العلميّة والحصص التّرفيهيّة، فهل تساءلنا عن نسبة المسلسلات العاميّة من الفصيحة، ونسبة الحصص الثّقافيّة المذاعة بالفصحى، ونسبة الحديث بالدّراجة عن الحديث بالفصحى في الأخبار واللّقاءات العلميّة والحصص التّرفيهيّة »[4]. فالأمر الواضح هنا هو أنّ العاميّة تحتلّ المكانة الأولى عند تقديم البرامج سواء في الإذاعة أم في التّلفاز، وتستأثر بأطول الأوقات.

---

[1] – مرزوق بن صنيتان بن تنباك، **اللّغة العربيّة في القرن الحادي والعشرين في المؤسّسات التّعليميّة الواقع والتحديّات واستشراف المستقبل**، **http// :www.faculty.ksu.edu.sa**

[2] – أحمد بن نعمان، **التّعريب بين المبدأ والتّطبيق**، د – ط. الجزائر: 1981م، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع ص419.

[3] – يُنظر: صالح بلعيد، **اللّغة العربيّة العلميّة**، ص27.

[4] – صالح بلعيد " **دفاعًا عن لغة الإعلام**"، يوم دراسي حول دور وسائل الإعلام في نشر اللّغة العربيّة وترقيّتها. الجزائر: 2004م، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، ص121.

ولو أخذنا على سبيل المثال " **حصّة صباح الخير**" الّتي تُقدّم يوميًّا في قناة التّلفاز الجزائريّ؛ نجد أنّ العاميّة تطغى على الحصّة بشكل جليّ؛ فالمنشّط نادرًا ما تسمعه ينطق بالعربيّة الفُصحى خلال المدّة الزّمنيّة المحدّدة للحصّة. وللأسف نجد أنّ مثل هذا الوضع ينطبق على مختلف الوسائل الإعلاميّة العربيّة من مسموعة ومرئيّة[1]، وعلاوة على أنّ العاميّة استولت على الشّارع والبيت، ونزلت إلى ميدان الفصحى بقوّة. هذا وإضافة إلى أنّ العاميّات انتشرت في البلاد العربيّة نتيجة الجهل والأميّة الّتي سادت فيها، فالمتعلّم عند مخاطبته لغير المتعلّم تجده مضطرًّا إلى استعمال العاميّة حتّى يتحقّق بينهما التّواصل.

وإنْ كان للإعلام يدٌ في توسيع فكرة التّقليل من استعمال العربيّة الفُصحى عند مخاطبة الجمهور وإحلال العاميّة مكانها؛ فإنّ لمؤسّسات التّعليم يدًا في ذلك أيضًا، وذلك عن طريق المدرّس أو الأستاذ الّذي تُلاحظه في أكثر الأحيان لا يحرص على الالتزام بالعربيّة الفُصحى أثناء تقديمه للدّروس، فهو يتهرّب من الفُصحى لعدم إلمامه بالقواعد النّحويّة والصّرفيّة الّتي تحتكم إليها مُستعينًا بالعاميّة. والمدرّس الّذي يتهاون في حقّ اللّغة الّتي يُعلّمها سيُؤثّر تأثيرًا جسيمًا في إفقاد تلك اللّغة قيمتها العلميّة لدى المتعلّمين وبالتّالي تصبح العاميّة هي أداة تعبيرهم وتواصلهم مع الغير، وهنا يصلح ذكر المثل المشهور " **العلم في الصّغر كالنّقش في الحجر**"، فبعد أنْ يتعلّم التّلميذ اللّهجة العاميّة في صغره ويتعوّد على سماعها والتحدّث بها؛ فلا داعي للبحث عن سبُل تعليمه العربيّة الفُصحى، لأنّه « إذا كانت العاميّة تأخذ على المدرّس وعلى الطّالب منافذ الطّريق ويكون الحوار والكلام بها، فإنّه من غير الممكن أنْ تولد معجزة تجعل هؤلاء الأطفال بعد إكمال التّعليم العامّ أو حتّى بعد التخرّج من الجامعة ومن أقسام اللّغة العربيّة يُقلعون عمّا عهدوه في كلّ سنين دراستهم وتلقوه في مناهج تعليمهم»[2]، فالطّالب عند تخرّجه تجده عاجزًا عجزًا كبيرًا عن كتابة خطاب بسيط بلغة عربيّة فصيحة وسليمة. وأضف إلى أنّه من المؤلم حقًّا أنْ ترى بعض الأساتذة في بعض الأقسام الجامعيّة والمعاهد المتخصّصة لا يُخاطبون طلبتهم، ولا يُناقشون الرّسائل العلميّة إلاّ بالعاميّة وهذا لا محالة سيؤثّر تأثيرًا كبيرًا في إضعاف المستوى اللّغويّ للطّلبة. وما يُثير انتباهنا في كثير من الأحيان ما نسمعه من بعض أساتذة التّاريخ أو الرّياضيّات مثلاً عند مساءلتهم عن سبب عدم استعمالهم للعربيّة الفصحى في تقديم الدّروس وشرحها ومُخاطبة الطّلبة بها؛ إذْ يُصرّحون بالقول إنّ تخصّصهم لا يجبرهم على استعمال الفصحى، وأنّ ذلك يكون من مهام أستاذ اللّغة العربيّة.

---

[1] – عبد الكريم خليفة " **العربيّة الفصحى والعاميّة في الإذاعة والتّلفاز** "، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة. القاهرة: أبريل 2000م، ص80. بتصرّف

[2] – موقع الانترنيت: **http// :www.faculty.ksu.edu.sa.**

ثمّ إنّ الوسط الاجتماعي والبيئة عامل حاسم في علاقة النّاس بالفصحى وعلاقتها باللّهجات المحليّة في الوطن العربي، فالعاميّة تنتشر انتشارًا واسعًا؛ يتكلّم بها الخاصّة قبل العامّة والمتعلّمون قبل غيرهم، فلا يجد أحدهم حرجًا في استعمال العاميّة، لأنّهم لا يتعرّضون للاستخفاف والاستهزاء مثلما يحدث الأمر مع العربيّة الفُصحى؛ إذْ « كلّ من يلجأ إلى استعمال الفصحى –كما تعلّمها في المدرسة وكما يُعبّر بها المذيع والخطيب في بيته مع ذويه – وفي غير ظروف التّعليم والتّلقين- ومع أصدقائه في مكان عمله أو غيره- وأيّ واحد في الشّارع – فيتعرّض بذلك للاستهزاء والسّخريّة ومثله في ذلك كمثل الّذي يخطب في النّاس وهو يريد مُخاطبتهم في أغراض بسيطة؛ فهو يُخاطبهم وكأنّه يقرأ من كتاب وقد رسّخ في أذهان المعلّمين أنّ اللّغة العربيّة ليس لها إلاّ كيفيّة واحدة في التّعبير؛ وهو المستوى الّذي سميناه بالإجلالي أو التّرتيلي»[1]. فالعربيّة الفُصحى إذن؛ تبقى في دوّامة القول إنّها اللّغة الّتي يجب أنْ يتعلّمها الطّفل في المدرسة، والّتي تُعتمد في ترتيل القرآن الكريم لا غير، حيث لا يمكن استعمالها إلاّ في المكاتب الرّسميّة ومؤسّسات التّعليم. وكما أنّ العربيّة الفُصحى في نظر بعضهم لا تتعدّى لغة القراءة والكتابة في المنظومة التّربويّة؛ فهي لغة المتاحف، ولذلك أضحت لغة منعزلة عن معظم مجالات الحياة، ولم تبلغ بعد درجة لغة العمل.

ومهما يكن من أمر؛ فنحن نؤكّد على أنّ العاميّة صحيح أنّها أخذت نصيبها من الاستعمال في الواقع الفعليّ، ولكن في نهاية المطاف تبقى العربيّة الفُصحى الّتي تعيش اليوم في خضم متلاطم من أحراش اللّهجات المحليّة متحدّية كل ما هو مسيء إليها؛ فهي تتحدّى جميع الآراء التعسّفيّة والوهميّة الّتي تُنادي بفكرة إحلال العاميّة محلّها، وعلمًا أنّ العاميّة لن تُلبي حاجة مستعمليها أفضل من الفُصحى بسبب فقرها وعجزها، فهي ينبغي أنْ تتخّذ على حدّ قول "**عبد السّلام المسدي**" « لا كأداة تعبير حيّ تلقائي، وإنّما كوسيط ثقافي فإنّها شقيق طبيعيّ يتحوّل على أيدينا إلى عدوّ إيديولوجي بكلّ قيمه السّلبيّة النّاسفة»[2]. هذا ولابدّ من الإقرار بأنّ العربيّة الفُصحى ليست اللّغة الوحيدة في العالم الّتي تُواجه صراع اللّهجات العاميّة؛ بل هي ظاهرة مشتركة بين جميع اللّغات. فالمهمّ في الأمر أنْ يحرص المتحدّث أو الخطيب على استعمال هذه اللّغة في المقام الّذي يتوجّب عليه ذلك؛ فالمدرّس عليه دائمًا أنْ يستعمل

---

[1] – الحاج صالح " **اللّغة العربيّة بين المُشافهة والتّحرير**"، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة. الجزائر: 2007م منشورات المجمع الجزائريّ للّغة العربيّة، ص74- 75.

[2] – عبد السّلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، ط 1. مصر: 2000م، كتاب سطور، ص409.

العربيّة الفُصحى في قاعات الدّرس، وعلى الإعلامي أيضًا أنْ يكتب ويُخاطب جمهوره العريض بعربيّة بسيطة وسليمة؛ ليس ضروريًّا أنْ تكون بلغة الجرجاني.

2) – واقع اللّغة العربيّة واللّغات الأجنبيّة:

إلى جانب التيّار الجارف الّذي تتحدّاه اللّغة العربيّة نتيجة العاميّة؛ فهي تُواجه تيارًا آخر أكثر خطرًا عليها وتهديدًا على بقائها وهو تيّار اللّغات الأجنبيّة وخاصّة منها الإنجليزيّة. والحديث عن الواقع الّذي تحتلّه العربيّة الفُصحى في أوطانها يدفعنا إلى تناول قضيّة جدّ هامّة وهي اعتماد اللّغات الأجنبيّة لغة التّعليم الجامعي في الأقسام العلميّة في كثير من الجامعات العربيّة، فالطّب والهندسة والعلوم التّكنولوجيّة جميعها لا تُدرّس إلاّ باللّغة الأجنبيّة، فالجامعة الجزائريّة مثلاً يُدرّس فيها الطبّ باللّغة الفرنسيّة؛ باعتبارها اللّغة الأجنبيّة الأولى في الجزائر، وفي بعض دول المشرق العربيّ يُدرّس باللّغة الإنجليزيّة. ومن المؤسف أنْ تحتلّ اللّغة الأجنبيّة المرتبة الأولى في المراكز الصحيّة والمستشفيات والفنادق وغيرها. **ومن هنا نتساءل هل العربيّة عاجزة عن أداء متطلّبات أبنائها، ولذلك يلزم علينا أنْ نستعمل اللّغات الأجنبيّة أينما أردنا ذلك؟** وأنْ نطرح هذا التساؤل لا يعني أنّنا ضدّ أهميّة تعليم اللّغات الأجنبيّة؛ فتعلّمها نعتبره أكثر من ضرورة في عصرنا هذا؛ بل الأمر يصل إلى مرحلة الوجوب. فالخطأ هو أنْ تعمل الدّول على تدريس العلوم في المدارس والجامعات باللّغة الأجنبيّة على حساب اللّغة القوميّة، وإنْ كان هناك الكثير من الدّول العربيّة الّتي تعتمد اللّغة الفرنسيّة أو الإنجليزيّة في تدريس الطّب؛ فهذه اليابان الّتي تدرّس العلوم كلّها بلغتها مع ما في اللّغة اليابانيّة من صعوبة وبعد عن الحسّ الغربيّ، وإسرائيل أيضًا الّتي أحيت العبريّة وجعلتها لغة التّعليم والحياة رغم قربها – إسرائيل- من ثقافة الغرب ولغته وحضارته واتّصالها به، ومع ذلك لم تختر لغة من اللّغات الغربيّة للتّدريس في المؤسّسات والجامعات مع صلتها بهذه اللّغات وأهميّتها لها، فهي تُدرّس الطبّ بلغتها العبريّة الّتي انتهت من الاستعمال المعاصر منذ آلاف السّنين، ولم تقل إنّ لغتها غير قادرة على أداء مهمّة تدريس الطّب وغيره من العلوم؛ عكس ما يُقال اليوم عن اللّغة العربيّة، فهي في نظر البعض تبقى لغة الشّعر والأدب وفقط، ومن ثمّ تنحصر أهميّتها في التّعبير عن المشاعر والأحاسيس، وفي حين تقوم اللّغات الأجنبيّة هي بمهمّة البحث العلميّ والتكنولوجي. وكأنّ العربيّة تعجز عن أداء هذه المهمّة ولذلك أصبحت عالة اقتصاديّة على اللّغات الّتي لا ماضي لها ولا تاريخ[1]؛ تكوّنت بفعل السّرعة والتقدّم العلمي. والأمر لم يتوقّف عند هذا الحدّ فقط؛

[1] – صالح بلعيد، **اللّغة العربيّة العلميّة**، ص136. بتصرّف

إنّما هناك من دعا إلى إطلاق رصاص الرّحمة على جسد العربيّة الفُصحى –كما يقول – حتّى تستريح وتُريح لأنْ تحلّ العاميّات محلّها، ويصفها بأنّها أصل معطوب، وأنّها انقطعت عن الحياة وانقطعت الحياة عنها.

وما يُزيد الطّين بلّة هو ما نُشاهده من أخطاء جسيمة ومخالفات لغويّة ونحويّة واضحة في اللافتات الإشهاريّة أو اللّوحات المعلّقة على واجهات المحلاّت التّجاريّة. وما نراه أيضًا من كثرة المسميّات الدّخيلة الّتي تتسلّل إلى لغتنا العربيّة بسبب غفلة من أبنائها، فحين تستمع إلى متحدّث بالعربيّة تجد في ثنايا حديثه كلمات أجنبيّة، وربّما السّبب الرّئيس في ذلك يعود إلى الوصول المتأخر للمصطلحات الّتي تُترجم من اللّغة الأجنبيّة إلى العربيّة؛ **فهل هناك من يسمع زميلاً له أو قريبًا يقول كلمة المحمول أو النّقال بدلاً من كلمة "البورتابل"** ؟ ومع أنّ لغتنا العربيّة كانت لغة متّسعة مستوعبة أكثر من معظم لغات العالم، إذْ كما أعطت أبناءها في عهد الحضارة الإسلاميّة المزدهرة القدرة على التّأليف والابتكار والإبداع في مختلف مجالات العلم والمعرفة؛ فإنّ بإمكانها اليوم أنْ تمدّهم بكلّ ما يحتاجون إليه من مفردات لاستيعاب كلّ ما يشهده العصر من مستجدّات علميّة ووسائل تقنية متطوّرة[1]. والّذي تجدر الإشارة في هذا المقام؛ أنّ بطء المؤسّسات اللّغويّة وتأخّرها في إعطاء المصطلح المقابل للمصطلح الأجنبي يجعل المتحدّث بالعربيّة يقول إنّ لغته عاجزة عن أداء متطلّباته، بيد أنّ لغته باختصار؛ « تشكو تخمة مصطلحيّة لكنّها تحتاج إلى غربلة لجعلها موحّدة، ووضع خطّة جديدة للعمل المصطلحي، لتفادي ذلك البطء الكبير»[2]. وعليه؛ نُدرك أنّ حلّ مشكلة المصطلح العلمي أو التقني يتطلّب تخطيطًا محكمًا تتّفق عليه جميع المؤسّسات اللّغويّة والعلميّة المختّصة في المجال. وعلاوة على أنّ الأمم لا ترضى بالدّخيل اللّغوي الّذي يُهدّد مكانة لغتها القوميّة؛ ومثال ذلك المجمع الفرنسيّ العلمي الّذي يُنادي بإبطال كلمة إنجليزيّة تسلّلت إلى الفرنسيّة من أثر الحرب العالميّة، حيث اعتبرها بمثابة جنديّ في دولة أجنبيّة في أرض دولة مستقلّة[3]. وليس من الغرابة أنّ المجمع فعل ذلك إلاّ لأنّ الغفلة تستدعي مزيدًا من التّداخل والاختلاط اللّغوي. ولعلّ السّؤال الّذي وجب طرحه في ضوء هذا السياق هو **هل نحن على علم بعدد الكلمات الدّخيلة الّتي تسلّلت إلى لغتنا العربيّة أو بتعبير المجمع بعدد الجنود في بلادنا؟** وممّا لا

---

[1] – عبد اللّطيف الصّوفي، **مصادر اللّغة في المكتبة العربيّة**، د – ط. الجزائر: د– ت، دار الهدى ص31.

[2] – صالح بلعيد " **تحدّيات اللّغة العربيّة في الألفية الثّالثة**"، ندوة دوليّة حول مكانة اللّغة العربيّة بين اللّغات العالميّة. الجزائر: 2001م، منشورات المجلس العلى للّغة العربيّة، ص320.

[3] – موقع الإنترنيت: **http : //zahra 1.com**.

شك فيه أنّ عدد الكلمات الدّخيلة الّتي تسلّلت إلى العربيّة يفوق التصوّرات. وعلى هذا؛ لابدّ أنْ نُصرّ على القول إنّ لمجامع اللّغة العربيّة ومؤسّسات التّعريب والتّرجمة مسؤوليّة كبيرة في مواجهة هذا السّيل الجارف من الكلمات الأجنبيّة الّتي تلقى التّرحيب لدى أبناء العربيّة قبل أنْ تصير في وقت قصير كلمات محليّة مستأنسة؛ تستقرّ في أذهانهم ويستعملونها دون أيّ حرج.

وما لا خلاف عليه أنّ اللّغة الأجنبيّة الّتي تُزاحم لغتنا العربيّة على مكانتها في عصر العولمة والإنترنيت هي اللّغة الإنجليزيّة الّتي أصبحت الوعاء الثّقافي الّذي تصبّ فيه المعلومات العصريّة، فهي تُسيطر على شبكة الإنترنيت بنسبة كبيرة جدًّا. ومثل هذا الوضع ينطبق على جميع اللّغات؛ فهذه فرنسا الّتي تعتبر من أقوى الدّول تأثيرًا في الوقت الحالي إلاّ أنّ نصيبها اللّغوي وحتّى الثّقافي في ظلّ العولمة لن يكون بمثل نصيب الدّول النّاطقة باللّغة الإنجليزيّة. والمكانة الّتي تتبوّأها الإنجليزيّة كانت نتيجة لقوّة أمريكا السيّاسيّة والاقتصاديّة، فهي اللّغة المهيمنة على شبكة الإنترنيت بنسبة 88 ٪، والنّسبة الباقية يتوزّع 9٪ منها على الألمانية و2٪ على الفرنسيّة و1٪ على بقيّة اللّغات الغربيّة[1]، وعلاوة على أنّه نتيجة لسيطرة الإنجليزيّة العظمى على هذه الشّبكة فالكلّ يرغب في أنْ يتعلّمها وخصوصًا أبناء العربيّة؛ لأنّ تعلّمها في غاية الأهميّة، حيث يُساعدنا ذلك على التطلّع والتفتّح على العالم والتعامل مع الغير بإيجابيّة. هذا ولا ننسى هنا أنّ البعض قد اعتبر اللّغة الإنجليزيّة مفتاح علوم العصر؛ معتقدين أنّ مستقبل الّذين يُجيدون هذه اللّغة هو الأفضل، وأنّها تُحقّق لخرّيجيها مهارات وكفاءات لا تتحقّق في غيرها من اللّغات. ولكن مثل هذا الوضع يدفعنا إلى أنْ نتساءل مرّة أخرى **أين موقع اللّغة العربيّة في الشبكة المعلوماتيّة؟** وما لا يجب أنْ نتجاهله أنّ للعربيّة موقعًا خاصًا بين اللّغات العالميّة؛ خاصّة بعد أنْ أضيفت إلى اللّغات الخمس الرّسميّة المعتمدة في الهيئات الدوليّة وهي الإنجليزيّة والفرنسيّة والإسبانيّة والرّوسيّة والصّينيّة. وإضافة إلى أنّ نسبة إقبال الأجانب على تعلّمها في تزايد مستمرّ بدافع العمل والتّجارة؛ ممّا يعني أنّها ستؤكّد عالميتها أكثر فأكثر في المستقبل القريب. وزيادة على أنّها تُدرّس على مستوى الجامعات والمعاهد العليا كلغة اختصاص وكلغة انفتاح ثقافيّ وحضاري أيضًا.

وإضافة إلى ذلك، أدّى التطوّر السّريع في ميدان الحواسب وبرمجياتها إلى انتشار ما يُسمّى بالتّرجمة الآليّة؛ الّتي تتمّ بواسطة برمجيّات حاسوبيّة تُترجم من لغة إلى أخرى. وهذا النّوع من التّرجمة حقّق قفزةً نوعيّةً بين اللّغات الأوربيّة؛ فقد وصلت دقّة التّرجمة فيما بينها إلى أكثر من 90٪. وفي الوقت نفسه؛ نجد أنّ

---

[1] – عبد الهادي بوطالب " **لابدّ من تكامل العولمة والهويّة ليكون العالم واحدًا ومتعدّدًا** "، مطبوعات الأكاديميّة الملكيّة المغربيّة. الرّباط: 1997، عدد العولمة والهويّة، ص125.

محاولات إخضاع اللّغة العربيّة لهذه التّرجمة قد قطعت مراحل جيّدة تصل إلى 50٪ [1]. وكلّ هذا من شأنه أنْ يضع العربيّة في موقع هامّ يُساعدها على تحدّي كلّ الصّعوبات والمعيقات الّتي تقف في وجهها للوصول إلى العالميّة، ومُسايرة تيّار العولمة بكلّ ثقة وكفاءة.

ولأجل كلّ ما تقدّم؛ تبيّن لنا أنّ تعميم اللّغة العربيّة متوقّف على مدى استعمالها من النّاطقين وغير النّاطقين بها في مختلف المجالات. فمن الحري أنْ يُطالب المدرّس بعدم التّسامح في استعمال العاميّة في التّدريس، وعدم اتّخاذها وسيلة التخاطب حتّى لا تفقد العربيّة الفصحى مكانتها في نفوس طلابها. والإعلامي أيضًا عند مخاطبته للجمهور باستعمال لغة عربيّة بسيطة وسليمة، وبالابتعاد قدر الإمكان عن استعمال المصطلحات الدّخيلة؛ لتحلّ محلّها المصطلحات العربيّة. ومن رؤساء تحرير الصّحف والمجلات باحترام هذه اللّغة ووضعها في المستوى الّذي يليق بها؛ فلابدّ من مراعاتهم للجانب النّحويّ والصّرفيّ لها وغير ذلك. ومن الضّرورة تقديم الإعلانات في وسائل الإعلام السّمعيّة والبصريّة ونشرها بالعربيّة الفُصحى، ونشر اللافتات أيضًا على واجهات المحلاّت التّجاريّة والطّرق بالخطّ العربيّ الجميل؛ بشكل جذّاب لافت للنّظر؛ لِما لذلك من تأثير عميق في نفوس القُرّاء.

وكما لا نتغافل عن دور العمل المعجمي في تطوير اللّغة العربيّة وحلّ مشكلاتها، فإذا استطاع المعجم العربي في الماضي أنْ يستوعب رصيد هذه اللّغة كمعجم "**لسان العرب**" **لابن منظور** (ت**711**هـ) الّذي صان للعربيّة كيانها في عصر الانحطاط والضّعف؛ فلِما لا تقدر على استيعاب الانفجار المعرفي الّذي يشهده عالم اليوم. وينبغي أنْ نُشير بصدد هذا إلى أنّ مكتب تنسيق التّعريب يُساهم في توحيد آلاف المصطلحات العلميّة ونشرها في معاجم، ومع ذلك تبقى جهوده أقلّ استيعابًا لما يتسلّل إلى اللّغة العربيّة من مفردات أجنبيّة. وعلى هذا الأساس؛ مطلوب من جميع المؤسّسات اللّغويّة والمجامع المختصّة في ميدان التّرجمة والتّعريب أنْ تتوحّد أعمالها وإنجازاتها أكثر فأكثر من أجل تحقيق الاكتفاء الذّاتي فيما يتعلّق بمشكلة المعاجم المتخصّصة من علميّة وتقنية وغيرها، وذلك أنْ تحرص على إحلال المصطلحات العربيّة محلّ المصطلحات الأجنبيّة في الصّيدلة والطّب ومختلف العلوم الرّياضيّة والهندسيّة والتّكنولوجيّة.

وفي الختام؛ نصل إلى القول إنّ هدفنا من دراسة موضوع واقع اللّغة العربيّة بين العاميّات واللّغات الأجنبيّة ليس العمل على حفاظ هذه اللّغة من الاندثار، لأنّ **الله** عزّ وجل يتعهّد بحفظها وبقائها؛ إذْ يقول ﴿ **إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون**﴾ **(سورة الحِجر الآية 9)**؛ فهي رغم كلّ شيء تبقى

---

[1] - تهامي كريمة " **اللّغة العربيّة قادرة على احتواء التّكنولوجيا** "، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة. الجزائر: 2005م، عدد خاصّ، ص316.

لسان الإسلام وترجمان القرآن، وإنّما نسعى لحمايتها من الجانب الّذي يُسيء إليها نتيجة لسلبيّات العاميّة واللّغات الأجنبيّة، والسّهر على أنْ يكون لها النّصيب الأوفر في الشّبكة المعلوماتيّة وفي ميدان الترجمة الآليّة أيضًا. وعلاوة على أنّ لغتنا العربيّة في سبيل النّهوض المتجدّد؛ فهي اليوم تحتلّ موقعًا مشرّفًا لها ولأبنائها؛ ومع ذلك يبقى الحرص عليها أمرًا ضروريًّا، والدّفاع عنها ضرب من ضروب العبادة.

* الهوامش:

- القرآن الكريم (**رواية حفص**).

1. الكتب:

- أحمد بن نعمان، **التّعريب بين المبدأ والتّطبيق**، د – ط. الجزائر: 1981م، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع.

- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، **الكتاب**، تح: عبد السّلام هارون، ط2. القاهرة: 1977م، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ج1.

- صالح بلعيد، **في قضايا فقه اللّغة العربيّة**، د- ط. الجزائر: 1995م، ديوان المطبوعات الجامعيّة.

- عبد السّلام المسدي، **العولمة والعولمة المضادة**، ط 1. مصر: 2000م، كتاب سطور.

- عبد اللّطيف الصّوفي، **مصادر اللّغة في المكتبة العربيّة**، د– ط. الجزائر: د- ت، دار الهدى.

2. المجلاّت:

- الحاج صالح " **اللّغة العربيّة بين المُشافهة والتّحرير**"، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة. الجزائر: 2007م، منشورات المجمع الجزائريّ للّغة العربيّة.

- تهامي كريمة " **اللّغة العربيّة قادرة على احتواء التّكنولوجيا** "، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة. الجزائر: 2005م، عدد خاصّ.

- ~~، اللّغة العربيّة العلميّة~~، د – ط. الجزائر: 2002م، دار هومه.

- ~~"~~ **دفاعًا عن لغة الإعلام**"، يوم دراسي حول دور وسائل الإعلام في نشر اللّغة العربيّة وترقيّتها. الجزائر: 2004م، المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

- ~~"~~ **تحدّيات اللّغة العربيّة في الألفية الثّالثة**"، ندوة دوليّة حول مكانة اللّغة العربيّة بين اللّغات العالميّة. الجزائر: 2001م، منشورات المجلس العلى للّغة العربيّة.

- عبد الكريم خليفة " **العربيّة الفصحى والعاميّة في الإذاعة والتّلفاز** "، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة. القاهرة: أبريل 2000م.

- عبد الهادي بوطالب " **لابدّ من تكامل العولمة والهويّة ليكون العالم واحدًا ومتعدّدًا** " مطبوعات الأكاديميّة الملكيّة المغربيّة. الرّباط: 1997.

3 - مواقع الأنترنيت:

- مرزوق بن صنيتان بن تنباك، **اللّغة العربيّة في القرن الحادي والعشرين في المؤسّسات التّعليميّة**، الواقع والتحديّات واستشراف المستقبل، http// :www.faculty.ksu.edu.sa

- http : //zahra 1.com.